

مقدمة المترجم

بدأ إهتمامى بالدراسات العربية فى الاتحاد السوفيتى منذ حوالى ثمانى سنوات .
عندما كنت أقوم هناك بتدريس اللغة العربية وآدابها بإحدى جامعاته ولعل مصدر
هذا الاهتمام جاء نتيجة إتصالى بالأعمال القيمة التى قام بها شيخ المستعربين السوفيت
١ . كراتشكوفسكى فى ميدان الدراسات العربية . وقد سبق أن أشرت إلى ذلك
تفصيلا فى مقال لى بمجلة « المجلة » . (عدد سبتمبر ١٩٦٣) عندما كنت أعرض
لترجمتى العربية لأحب كتبه إلى نفسى وأعنى به « مع المخطوطات العربية صفحات
من الذكريات مع الكتب والبشر » وهو يعطى صورة لكثير من الأعمال العلمية
الهامة فى حياة المؤلف لاسيما الفريدة منها . وليس هذا بالطبع مجال ذكرها إنما
ما يعنينى هنا هو أن كراتشكوفسكى قد خصص فى هذا الكتاب فصلا عن أحمد
ابن ماجد ملاح فاسكودى جاما وقصة إكتشاف مخطوط أراجيزه الثلاثة الفريدة
التي تتعلق بوصف الطرق البحرية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى فى القرن/١٥ .
(أنظر الترجمة العربية صص ١٧٣ — ١٨٤) . وحقيقة أن الفضل فى إكتشاف
هذه الأراجيز يرجع إلى كراتشكوفسكى نفسه عندما عثر عليها بعد الحرب العالمية
الاولى ، فى مجموعة مخطوطات معهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع العلمى
السوفيتى . وعندما وقعت الأراجيز فى يده لأول مرة لم تكن لديه فكرة واضحة
عن مؤلفها رغم محاولاته لاستجلاء شخصيته . وظل الأمر غامضا عليه حتى
منتصف العقد الثانى من هذا القرن عندما أتاحت له فرصة التعرف بجهود المستشرق
الفرنسى ج . فيران G. Ferrand عن الجغرافية البحرية القرن/١٥ . وكان هذا قد
كشفت فى المكتبة القومية بباريس سنة ١٩١٢ مخطوطين عربيين يتضمن الاول
١٩ أرجوزة لابن ماجد تتعلق بوصف الطرق البحرية المختلفة فى البحر الأحمر
والخليج العربى والمحيط الهندى . واعتبر فيران المخطوط نسخة فريدة نقلت عن
أصل غير معروف . لكن تبين له بعد عشرة أعوام وجود نسخة ماثلة فى دمشق
أما المخطوط الثانى فيتضمن مقالات أخرى لابن ماجد منها اثنتان مكررتان فى
المخطوط الاول . وقد قام فيران بدراسة المخطوطتين .

وكان من المعروف أن ملاحا عربيا صاحب الرحالة البرتغالي فاسكو دى جاما في رحلته الأولى سنة ١٤٩٨ من مالندى بشرق أفريقيا إلى كالكوتا بالهند . وماورد في المصادر البرتغالية عن هذا الملاح كان مضطربا متضاربا . إلا أن فيران كان على معرفة بلغات الشرق الأدنى والافصى ومن بينها لغات الملايو والهند ومن ثم استطاع أن يصل إل نتائج ثابتة . وعندما ربط بين المعلومات البرتغالية وبين المعلومات العربية والتركية استطاع أن يحدد الاسم العربي الحقيقي لهذا الملاح وأن يحدد مسقط رأسه، وكان مخطوط الأراجيز الثلاثة الذى إكتشفه كراتشكوفسكى يتشابه فى الشكل والمحتوى مع المخطوط الذى إكتشف فى باريس . فكتب إلى «فيران» يسأله عما إذا كانت لديه معلومات عن وجود هذه الأراجيز فى مصادر أخرى فرد فيران بالنفى وعبر عن إعتقاده بأنها تعتبر فريدة وحيدة ، ثم أن كراتشكوفسكى أشار عليه بأن يتولى مهمة تحقيق الأراجيز إلا أن موت فيران سنة ١٩٣٥ حال دون تنفيذ هذا العمل . وبقي مخطوط الأراجيز فى إنتظار من يدرسه حتى جاء شوموفسكى — تلميذ كراتشكوفسكى — وأخذ على عاتقه مهمة تحقيق هذه الأراجيز فى دراسة علمية حصل بها على درجة الكانديدات من كلية الدراسات الشرقية بـلينجراد سنة ١٩٤٨ وقام المجمع العلمى السوفيتى بطبعها سنة ١٩٥٧ وهذه هى الترجمة العربية لهذه الدراسة تقدمها لأول مرة فى صورتها العربية الكاملة تحت عنوان : ثلاث (فى الأصل ثلاثة) أزهار فى معرفة البحار لأحمد بن ماجد . وهناك عنوان داخلى آخر فى الطبعة الروسية هو : ثلاث راهمانجات المجهولة والراهمانج هى كلمة مأخوذة من الكلمة الفارسية راه نامه أونامك ومعناها دليل أو مرشد الطريق البحرى .

وقد أعددت هذه الترجمة منذ عام ١٩٦٣ ونشرت آنذاك مقتطفات ماجد .
عده مقالات بمجلة الرسالة (الأعداد ١٠٧٦ / أغسطس ١٩٦٤ ، ١٠٨٢ فى ٨ أكتوبر ١٩٦٤ ، ١٠٨٦ / ٥ نوفمبر ١٩٦٤) . وكنت قد نشرت قبل ذلك مقالة لكراتشكوفسكى عن أحمد بن ماجد بمجلة المجلة (العدد ٨٨ أبريل ١٩٦٤) ، وكانت ظروف سفرى إلى الخارج السبب الرئيسى فى عدم ظهور الترجمة كاملة طيلة هذه الفترة .

ولعل أهم الصعوبات التى واجهت إخراج هذا الكتاب فى طبعته العربية تتمثل فى شيئين أساسيين .

أولها : إن الأراجيز منشورة في الطبعة الروسية مصوره تصويرا شمسيا من أصل المخطوط مما جعل مسألة القراءة الصحيحة للنص صعبة بل وشديدة لاسيما أن لغة الأراجيز نفسها تشوبها الأخطاء الإملائية والعناصر العامة وبها كثير من المفردات والتعبيرات الفلكية والبحرية والأجنبية وغيرها . وقد إعتدنا على الصورة الشمسية والترجمة الروسية في محاولة القراءة الصحيحة للنص العربي . وكانت هناك بعض الاختلافات مع الترجمة الروسية في عدة مواضع أشرنا إليها في مكانها .

ثانيهما : أن في الأصل الروسى وردت كثير من الإقتباسات المترجمة عن المصادر العربية . وبعضها مخطوط لم ينشر بعد . وقد حاولنا قدر الإمكان أن نرد هذه الإقتباسات إلى مصادرها وأصولها العربية . وبهذه المناسبة أحب أن أشير إلى مخطوط سيرد ذكره في هذا الكتاب بعنوان البرق النيانى فى الفتح العثمانى لقطب الدين النهر ولى (١٥١١ — ١٥٨٢) وهو مخطوط جميل بدار الكتب المصرية فلهذا يثير اهتمام من يقوم بتحقيقه ونشره .

وقد اقتضت الترجمة العربية إدخال بعض التعديلات على نظام الأصل المترجم عنه من أهمها :

١ — الإستغناء عن الترجمة الحرفية الروسية للنص بعد أن استفدنا منها في محاولة قراءته القراءة الصحيحة وتفسير بعض ما ألفز فيه . وبالعاطيع فإن هذا العمل لا يدعى لنفسه كالا .

٢ — الإستغناء عن تقطيعات الأوزان الشعرية لعدم أهميتها المباشرة وكذلك الملاحظات التى لاتهم القارئ العربى أو التى يسهل عليه معرفتها .

٣ — تعديل ترتيب الملحقات بما يتناسب مع الترجمة العربية وبما يسهل على القارئ الإستفادة منها .

وقد حافظنا على ترتيب صفحات المخطوط كما وردت فى الأصل حتى يسهل على القارئ الرجوع إلى النص وكذلك ملاحق الكتاب .

وربما يشغل على القارئ المفردات والمصطلحات البحرية والفلكية والجغرافية
التي تنتشر في نص الأراجيز وربما وجد أنها مملّة في بعض الأحيان . وهنا ينبغي
أن نشير إلى أن هذه الأراجيز كما يبدو ألفت أساساً لغرض تعليمي ولعلها تكون
مهمة للمتخصصين أو المهتمين بعلم الفلك أو الملاحة البحرية وغيرهم . وما يعين
على فهم هذه المفردات والتعابير أن لكل منها على اختلاف أنواعها جداول
خاصة في ملاحق الكتاب تشرحها وتفسرها . ولذا يجب الرجوع إليها . ولعل
الاستعانة بالخريطة الجغرافية (الملاحق ١٠) مهمة أيضاً لفهم ومعرفة أسماء الأماكن
والبلاد والبحار والموانئ والجزر التي ورد ذكرها في الأشعار . أما الجزء الخاص
بالبحث من دراسة تاريخية وغيرها وكذلك الملاحظات على الدراسة التاريخية
فأعتقد أنه تمتع ومفيد وبهم قطاعاً كبيراً من القراء لإنصالة بصورة مباشرة بمجال
الثقافة العامة . وعلى هذا الجزء ملاحظات وتعليقات متسلسلة تعقب هذا الجزء
مباشرة . وربما وجد فيها القارئ أشياء مفيدة متنوعة .

ولعل لهذا الكتاب أهمية أيضاً بالنسبة للمهتمين بتحقيق الآثار أو دراسة
المخطوطات لاسيما فيما يتصل بالناحية المنهجية لدراسة مخطوط الأراجيز وتحقيقه .

وأحب أن ألفت نظر القارئ سلفاً إلى بعض الأشياء المفيدة في قراءة النص .
أولها أنه يتردد في لغة النص كقاعدة عامة إستخدام الهمزة المخففة مثل الما أى الماء ،
بأس أى بأس ، وسوا أى سواء ، وياوى أى يأوى ، وجا أى جاء ومنها يحى
أى يحى ، وحي أى حي . أو قلب الهمزة ياء مثل دايم أى دائماً ، وشدايد
أى شدائد ، ومايه أى مائه ومنها تسعايه أى تسعائة ، وباريبسا أى يارئيسا
وياسايل أى ياسائلى ومنها يامسايل أى يامسائلى ، ودلايل أى دلائل ، وسحاب
أى سحاب وهكذا . وهناك أيضاً بعض المصطلحات التي يكثر ترددها في النص
وقد يكون من المفيد التعرض هنا لشرح أكثرها إستخداماً مع أن هذه المصطلحات
وغیرها مشروحة في القوائم الخاصة بها في الملاحق . منها كلمة الديرة ، ولهامعان
متعددة فهي تعني الحلقة أو البوصلة وتفن الجهاز الخاص بقياس الساعات وأخيراً
تعتى الطريق البحرى . وهى بهذا المعنى الأخير تنقسم إلى نوعين :

ديرة مطلق ومنها أطلق وتطلق وطالق أى لإبحار فى عرض البحر المفتوح
وديرة مد أى لإبحار بجذاء الشاطئ . ومنها أيضاً الديرة الجاهية أى الإبحار في المياه

الشمالية للبحر الهندي أما الإبحار في مياهه الجنوبية فيسمى ديرة فرندية .
ويرتبط بها كلمة مجرى وهو الطريق البحرى ومنها فعل الامر أجر . ونتخ نصيحها
ندخ ومنها انتخ وتمتخ ومنتخ بمعنى قطع الطريق البحرى أو السفر فيه أو
الوصول بالسفينة إلى المكان المقصود . واستقل ومنها مستقل أى الوصول إلى
أعلى نقطة لإرتفاع فوق الأفق . وولج ومنها يلبج بمعنى الدخول إلى المكان :
وموسم تبنى موسم السفر بالنسبة للرياح الموسمية والجشوش هو معظم الليل
أو توقف السفينة ليلاً أما الجوش وجمعها جواش فعناها الإسفار والرحلات .
ومغزر من غزر الماء وأغزر أى كثر وعمق وتبنى السير فى عرض البحر المفتوح .
ويرتبط بها العُربة أى الماء الضحل . والشعب . وجمعها شعاب تعنى الصخور
البحرية ويقابلها فى المعنى عرق وعروق . والبلد بمعنى المدينة أو البندر . أما
البلدُ فهو حبل طويل لقياس عمق الماء . والأجر وجمعها الأناجر هى مرسة
السفينة أو ما يعرف بالهلب ، ومنها أطرح الأناجر أى أرمها . والكمال
آلة لقياس لإرتفاع النجوم ومنها الفعل كمل . وإلزام هو وحدة قياس الطريق
البحرى ويساوى ١٢ ميلاً بحرياً . والأصبع وجمعها الأصابع وحدة تدريج البوصلة
ووحدة قياس لإرتفاع النجوم . والملى يعنى الساحل . أما جزيرة الملى فهى جاوة .
ويمكن للقارئ أن يستفيد بملاحق الكتاب فى فهم ما يصادفه من مصطلحات .
وأخيراً أحب أن أشير إلى أن الدكتور بخت الشاطىء قد عرضت للتعريف
بهذا الكتاب فى مقال لها بخریده الاهرام (١٨ أكتوبر ١٩٦٣) ، وكان الصدى
واسعاً وعميقاً واستجاب له كثيرون من مختلف التخصصات كان من بينهم كاتب
هذه السطور . وهذا يدل على اهتمام واسع عريض بين جمهور مثقفينا . وأملنا
أن تكون هذه الترجمة العربية باعثاً جديداً لهذا الإهتمام وأن تنزل من نفوسهم
حنين الرضى والتقدير واقعاً ولى التوفيق .

مصر الجديده فى ١٨ أغسطس ١٩٦٩

محمد منير مرسى

كلية التربية — جامعة عين شمس